منهج الإمام الخميني (قدس سره الشريف) في مقاومة ومقارعة الاستكبار

■ **بقلم : السيد الدكتور علي السيد قاسم رئيس مركز حوار الأديان والثقافات في لبنان وعضو الهيئة الحبرية العالمية الاسلامية المسيحية.**

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم وجود الإنسان، فمنذ أن قامت الدنيا اقتسم الناس بين أهل حق وأهل باطل، وبين ظالم مهيمن مستكبر، وضعيف مظلوم متآمَرٍ عليه، ولم يخل زمان من عنجهية مستكبر، وصرخة مظلوم، وانتفاضة ثائر على مستبد.

في تاريخنا المعاصر يُحكى عن سيطرة القطب الواحد على مقدرات الدول، والهجمة الأمريكية الشرسة على العالم الإسلامي، بشعارات براقة خداعة، وخير من يدلنا على ذلك من قارع ذلك الإستكبار الأمريكي في بلد كان مُعداً له أن يكون شرطي الخليج الفارسي، في إيران الشاهنشاهية التي أصبحت بثورته المباركة إيران الإسلام المحمدي الأصيل ودولة ترفع لواء نصرة المستضعفين في زمن كثُر به الجبناء والمتخاذلون.

لهذا نجد معاناة العالم الإسلامي من محاولات الهيمنة على ثرواته وقراره السياسي، وقد يصل الأمر في كثير من الأحيان وفي بعض البلدان إلى محاولات الهيمنة العسكرية .

من هنا اطلق الإمام الخميني "قده"مصطلح الاستكبار العالمي على الجهات التي تقوم

بتلك المحاولات .

والإستكبار كلمة مأخوذة من التكبُّر وهو الاستعلاء على الآخرين، والاستكبار ليس مسألة جديدةً، ظهرت في زماننا، بل هو مسألة قديمة بقدم التاريخ، وقد ذكر الله المُتعال في القرآن الكريم نماذج من المستكبرين كفرعون، بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

والتكبُّر في الإنسان هو من الصفات الأخلاقية الذميمة التي ذكرها علماء الأخلاق في عداد الصفات المهلكة للقيم، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: {العز رداء الله، والكبر إزاره، فمن تناول شيئا منه أكبه الله في جهنم}.

عندما نقرأ شخصية الامام الخميني"قده" وتراثه الفقهي والفكري في ضوء تجربته الغنية في مقارعة الاستكبار والمستكبرين، نجد أن مؤثرات مدرسته السياسية لا تزال حاضرةً في تجربة المحور المقاوم انطلاقًا من ركائز الانتفاضة المباركة في فلسطين، ومقدرات المقاومة الاسلامية في لبنان، وبسالة الأبطال في اليمن والعراق وسورية .. وبمراجعة سريعة لنهج الإمام الراحل في بلورة مفهوم المقاومة قرآنياً نجده "قده" ينطلق من غرساتها الأولى داخل مقاومة النفس ومغالبتها وتطويعها بالجهاد الأكبر، لتطمئن الى فردوس الطمأنينة وسلام المؤمن مع ذاته لأن الاستكبار يبدأ من منطقة النفس وصولاً للانتصار على ذيولها وأذنابها على مسرح التصادم الذي لا مفر منه بين الحق والباطل ، وتظهر المفارقة في طموح هذا الانتصار من داخل النفس الى خارجها باختلاف الوسائل والوسائط، ففي معركة الجهاد الأكبر يستخدم المسلم أسلحته الروحية كوسيلة لحماية نفسه من نفسه، بينما يلجأ في معركة الجهاد الأصغر الى استخدام أسلحته المادية لحماية وجوده من عدوه،

وهنا نطرح سؤلًا اذا كانت معركتنا مع الاستكبار وفي مشاهد اصطراع قوى الخير والشر امتداداً لاصطراع النفس مع ذاتها، فهل يتيسّر للمقاوم الاكتفاء بالأسلحة الروحية لحسم هذا الصراع؟

قد نجيب بنعم لولا أن ذهنية الاستكبار القديم والحديث مؤسسة على طغيان القوة، بمعنى أن استخدام العنف في منطق الاستكبار هو شهوة دموية تعبّر عن وحشيتها بإجبار قوى الخير برغم أنفها على الخضوع لإرادته، فالإكراه هو سمة الاستكبار وخصيصته، ما يعني ان دفاع الخير عن هويته يتطلب منه توفير كل شروط القوة ليرهب عدو الله وعدوه. فالسلم بحسب شريعة الاسلام لا يسمح له أن يكون فريسة سهلة تغري قوى الشر بافتراسه وابتلاعه، ووسيلته الى تحصين حياته من هذا الخطر

> **عندما نقرأ شخصية الامام الخميني"رض" وتراثه الفقهي والفكري في ضوء تجربته الغنية في مقارعة الاستكبار والمستكبرين، نجد أن مؤثرات مدرسته السياسية لا تزال حاضرةً في تجربة المحور المقاوم انطلاقًا من ركائز الانتفاضة المباركة في فلسطين، ومقدرات المقاومة الاسلامية في لبنان، وبسالة الأبطال في اليمن والعراق وسورية**

لهذا يعمد الى التسلح بالقوة لفرض هيبة رادعة على عدوه تمنعه حتى من مجرد التفكير بالعدوان عليه .

في قراءة سريعة لمنهج الإمام الخميني "قده" في مقاومة الاستكبار بوسعنا ان نصغي لصوت الإمام من اللحظة التي خرج فيها من ايران غريبًا ومنفيًا والى اللحظة التي عاد فيها الى وطنه فاتحًا ومنتصرًا ، لنجد خطاباته كلها تتمحور حول عنوان مركزي ألا وهو: تحقيق الذات الاسلامية على أرض الواقع الحافل بالتحديات والعراقيل التي اعترضته على مستوى الداخل والخارج، فلم يتمكن الاستكبار من الحاق الهزيمة بالأمة الاسلامية لو لم تكن هذه الأمة مصابة في عقلها وفكرها، أي في اساس تكوين قوتها الرادعة. وبمتابعة منهج الإمام في تأصيل ثقافة المقاومة نراه يثوّر اللغة القرآنية والمصطلحات القرآنية لمحاصرة الهزائم المتتالية التي شهدتها الأمة، فلا تتحول الى هزيمة نفسية، لأن معنى الهزيمة عنده هو انهزام العقل الاسلامي والفكر الاسلامي امام فكر الطاغوت وعقل الاستكبار، وبذلك فإن الإمام الخميني كان يبحث في استنهاض مكوّنات الشخصية الاسلامية وتأهيلها لمنابذة الظلم العالمي والتصدي للأنظمة المعادية لحقوق الأمة في الحرية والعدالة، فلم يغب عن خطاب الإمام دعوة الأمة الاسلامية الى وعي معنى الشهودية على العصر وعلى الناس. وأقول الأمة الاسلامية لألفت الى أن الإمام الخميني لم يجعل من قضية مقارعة الاستكبار العالمي قضية تخص الشعب الايراني، لأنه أراد من دعوته تلك أن يفتح بوابة النهوض الاسلامي الشامل المستهدف من عدو واحد هو الاستكبار .

نسأل الله المُتعال أن يجعلنا في مواجهة المستكبرين كالبنيان المرصوص ومن المتمسكين بولاية الحق، والمتقربين إلى الله المُتعال بالسير في ظلها ونهجها، إنه سميع الدعاء .